مجلة الكلم
المجلد06/ العـدد: 02 (2021)، ص ..- ..

# المنهج اللغوي عند الزمخشري في تفسيره؛ الكشاف نموذجا

# The Linguistic Approach of Zamahrashi's Al Kashaf

د.عبد الله معمر[1]

[1]جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم(الجزائر)، maar.abdallah@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2020/07/13 تاريخ القبول: 2020/08/31 تاريخ النشر: 2020/12/23

ملخص:

نحن في هذا السياق بالذات –من خلال كتاب الكشاف للزمخشري–سنكتفي بدراسة أهم الجوانب الأساسية في المنهج اللغوي الذي سلكه الزمخشري في كشافه، محاولين تقسيم ذلك وفق بعض من الإطلاقات التي راح يطبقها في ظل كشافه مبرهن على شرعية ورودها في النص القرآني لفظا ومضمونا أو ظاهرا وباطنا، من مثل: القراءات القرآنية ، والمعاني اللغوية، أثر الجانب النحوي في تحديد الدلالة، الجانب البلاغي في السياقات القرآنية وهلم جرا مما لا يسع هذا المقال تداوله في هذه الورقات تاركين ذلك في الأيام المستقبلية.

**الكلمات المفتاحية:السّياق–المنهج اللغوي–البعد البلاغي–النّص–الخطاب القرآني**

**Abstract:**

In this particular context - through the book of the Scouts of Zamkshary - we will only examine the most important aspects of the linguistic approach taken by Zamakhshari in his writings, trying to divide it according to some of the releases that have been applied in the light of the disclosure of the legitimacy of the Koran in the text of the word and content or apparent Such as: Quranic readings, linguistic meanings, the grammatical aspect of defining meaning, the rhetorical aspect in Quranic contexts, and so on. This article can not be dealt with in these papers, leaving it in future days.

**Keywords:** Context - linguistic approach - rhetorical dimension - text - Quranic discourse

**المؤلف المرسل:** عبد الله معمر

## 1. مقدمة:

الراجع إلى كتاب الكشاف للزمخشري يجده يزخر بالكثير من القضايا المعرفية التي جعلته يحتل الصدارة عند أهل الاختصاص سواء من جهة له علاقة بالجانب الفكري الفلسفي أم اللغوي أم العقائدي الذي ظل الزمخشري ومن تبعه من المعتزلة يوظفون كثيرا من الحقائقالمعرفية والمنهجية التي لا تتماشى والمذهب الاعتزالي فيعملون بكل ما تيسر لهم من مادة معرفية أن يجعلوا ذلك وفق الضابط الاعتزالي الذي لا يخرج عن المبادئ لخمسة المتفق عليها من قبلهم.

ونحن في هذا السياق بالذات سنكتفي بدراسة أهم الجوانب الأساسية في المنهج اللغوي الذي سلكه الزمخشري في كشافه محاولين تقسيم ذلك وفق بعض من الإطلاقات التي راح يطبقها في ظل كشافه مبرهناً على شرعية ورودها في النص القرآني لفظا ومضمونا أو ظاهرا وباطنا، من مثل: القراءات القرآنية ، والمعاني اللغوية، أثر الجانب النحوي في تحديد الدلالة، الجانب البلاغي في السياقات القرآنية وهلم جرا مما لا يسع هذا المقال تداوله في هذه الورقات تاركين ذلك في الأيام المستقبلية.

## 2. موقع القراءات في الكشاف:

بحكم أن القراءات سنة حميدة لدى غالبي النحاة على أساس أنها تمثل الحجر الأساس في تحديد الدلالات التي يتنوع عن طريقها الخطاب القرآني من قراءة إلى أخرى، لجأ الزمخشري إلى استخدامها استخداما تارة يتماشى ومبدأ القاعدة النحوية، وتارة أخرى وفق ما تقتضيه طبيعة الاتجاه الاعتزالي حكما ومفهوما.

يرى الزمخشري أن موقع لفظ الجلالة-الله- الواقع في قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [1] إنما هو على بناء النصب لا غير مستدلا على ذلك بقراءة إبراهيم ويحي بن وثاب اللذان قرءا الآية بنصب لفظ الجلالة( وكلّم اللهَ) بالنسب لا غير، يقول في هذا المقام ما نصّه..."، وعن إبراهيمي ويحي بن وثاب اللذان قرءا الآية ( وكلّم اللهَ) بالنصب لا غير، ومن بدع التّفاسير أنه من اللم-بكسر اللام- الذي يعني الجرح، وعليه يكون معنى الآية وجرح الله موسى

بأظفار المحن ومخالب الفتن"[2] هذه التخريجة تنم بحق عن إيمان الزمخشري بالفكر الاعتزالي وهو ما جعله يهرب إلى جهة ثانية من الآية الكريمة التي راح يستغل ذلك عن طريق استشهاده بقراءة إبراهيم.

ثم في قوله تعالى:﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾[3]يذهب الزمخشري إلى أنّ وقوع لفظ الرسل ليس على نية النصب بل هو واقع على النصب ( وعبْدِهِ رُسُلَهُ)، وهذا النص يعطي للآية لكريمة بعدا معرفيا يتماشى والمعتقد الاعتزالي، على أساس لمَ تؤديه من مقصدية في شأن مظنة إخلافه تعالى بمبدأ الوعيد الذي توسع فيه المعتزلة في شأن مرتكب الكبيرة وكذلك في شأنك العبادات[4].

وهو في تعامله مع القراءات لا يهمل أثرها في لدلالة في شان القضايا النحوية المتفق عليها؛ إذ يكثر من الاستشهادات في ذلك مبرزا في كثير من السياقات أوجه الاختلافات بين البصريين والكوفيين ، محاولا أن لا يميل إلى الرأي السديد لما تدل عليه الآلة وفق القاعدة اللغوية ، من ذلك قراءة حمزة لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[5] على نية الجر لا النصب بقول أبو حيان في هذا المقام وما ذهب إليه أهل البصرة وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار..."[6] أي أن أهل البصرة لا يُجوزون ذلك إلا إذا وردت قرينة تُجيز ذلك وهي تكرار الجار في الاسم المجرور وهو ما كان يؤمن به الإمام الزمخشري وغيره من النحاة.

ويُعنى ببيان القراءات ووجوهها، واختلاف معاني الأسلوب القرآني نتيجة لها، يورد في تفسير قوله تعالى : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[7] أنه قرئ ملك يوم الدين، ومالك، وملك بتخفيف اللام، وقرئ ملَكَ يومَ الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرئ مالكَ بالنصب، ومالكُ بالرفع، و(ملِكِ) هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[8]

إنّ الحديث عن أثر المنهج المتبع من قبل الزمخشري في شأن القراءات بما له القدرة لكافية في توجيه المعاني حسب ما تقتضيه طبيعة السياقات المقامية، يجرنا إلى الحديث عن المعاني اللغوية في

الكشاف التي راح يعطي لها أبعادا فنية تتماشى ومقصدية السياقات القرآنية، وهو في ذلك كله يتخذ لنفسه منهجا بلاغيا يقوم في أساسه العام على طبيعة القرائن المقامية المتفق عليها عند أهل البيان واللسان الفصيح.

## 3. المعاني اللغوية في السياقات القرآنية عند الزمخشري:

أما الاتجاه للزمخسري في تفسيره فهو الاتجاه اللغوي. فقد أدخل هو القراءات واللغة والنحو والصرف وغيرها من العلوم العربية.

قال الذهبي : (هو الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب، وصاحب التصانيف البديعة في شتى العلوم) [9].

(والذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من الآيات من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى، يراه يحرص كل الحرص على أن يبرز في حلة ببديع جمال أسلوبه وكمال نظمه)[10].

و أيضا يفيض في بيان القراءات ووجوها ، واختلاف معاني الاسلوب القرآني نتيجة لها، ولا ينسى في تفسيره ثقافته النحوية التي كان الزمخشري إماما فيها، فنخده يكثرمن بيان الإعراب ووجوه النحو ويفيض من هذا الضمار، ويكثر الاستشهاد ببلاغة القرآن الكريم بشعر المحدثين و كلامهم[11].

ومثال من تفسيره نحو:جاء في قوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[12]على لسان حال الزمخشري ما بيانه أن معنى الفلاح هو الفائز بالبغية كأنّه انفتحت لهوجوه الظفر، ولم تستغلق عليه، والمفلج بالجيم مثله،ومنه قوله للمطلقة استفحلي بأمرك بالحاء والجيم، والتركيب دال على الشق والفتح، وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو: فلق وفلذ وفلي"[13].

ونجده في سياق مفهوم فعل الحمد الوارد في سورة الفاتحة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[14] يخرّجه تخريجا منهجيا يليق بتلك الثقافة البيانية اللغوية التي اكتسبها عن طريق درايته بأسلوبي البيان والبديع، فهو يرى أنّ الحمد والثناء هما بمثابة الأخوات وهما يفيدان الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها،

تقول: حمدت الرجل على أنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح ، يقول الشاعر:

**أَفَدَكُمْ النَّعماء مِنْ ثَلاثَةِ يِدِي ولِسَانِي والضَّمِيرِ المُحْجَبَا" 15**

ويستمر الزمخشري في تبيان دلالة اللفظ القرآني بما يحويه من معان لغوية يحدوه في ذلك منهج عقلي يتماشى وما تقتضيه طبيعة العلائق النصية فيما بينها ، يعطي لمفهوم يوم الدين الوارد في الآية نفسها( مالك يوم الدين)، بعدا بيانيا يخرّجه تخريجا مجازيا يتماشى ومقصدية هذا اليوم وفق دلالته القرآنية، يقول ما نصّه ويوم الدين هو ذلك اليوم الذي يجازى فيه العباد عن أعمالهم ومن قولهم: كما تدين تدان، وكذلك بين الحماسة:

**ولَمْ يبقَ سِوَى العُدْواَ نَ دَناهُم كمَا دَانُوا**

فإن قلت: ما هذه الإضافة التي وردت في السياق ؟ قلت: هي إضافة الفاعل إلى الظرف على طريقة الاتساع، فجرى مجرى المفعول به كقولهم سارق الليلة أهل الدار، والمقصود على الظرفية،وعليه يكون المعنى مالك الأمر كله في يوم الدين"[16].

وينتقل الزمخشري منهجيا كعادة القدامى إلى ما يسمى بمبدأ التمثيل والتخييل الواقع في كثير من السياقات القرآنية متعاملا معه حسب ما يدل من دلالة وجودية كونية تسير جنبا إلى جنب مع عالم الذات الإنسانية في علاقتها بالخطاب القرآني، يقول الزمخشري في قوله تعالى :

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [17]ما بيانه إنّ هذا م قبيل التمثيل والتخييل، وقد دل على عليه قوله :(وتلك المثال نضربها للناس) والغرض هو توبيخ الإنسان على قساوة ببعده عن الخالق سبحانه وتعالى، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره[18].

ولا ينسى الزمخشري عهده بالاتجاه الاعتزالي محاولا أن يتخذ لنفسه منهجا من هذه المعاني للغوية ، ولكن وفق ما يقتضيه الضابط الاعتزالي ليس غير، يقول تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[19] هذه الآية يتعامل معها الزمخشري انطلاق من قوله : (إلى ربها ناظرة)؛ إذ يرى بأن معناها تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول به الذي يفيد الاختصاص فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قبل الناس: أنا فلا ناظر ما يصنع بي ، تزيد معنى التوقع والرجاء ، ومنه قول القائل:

**وإذا نظرتُ إليكَ من مُلْكِ وَالبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعمَا"**[20] كما يعرض الزمخشري في كل آية وموضع للألفاظ اللغوية بالتفسير والشرح، ملّما بشتى فروع الكلمة وأصولها وبما قاربها أو شابهها من الألفاظ، يقول في المعنى اللغوي لكلمة (سجى) الواردة في الآية﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [21] يقول: سجى سكن وركد ظلامه، وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح، وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه، وسجا البحر سكنت أمواجه، وطرف ساج ساكن فاتر[22].

ونجده في بعض الأحيان يذكر إلى جانب المعنى اللغوي للكلمة معاني أخرى ذات صلة باشتقاقاتها وفروعها، ومثال هذا شرحه لكلمة (الفلق) الواردة في الآية﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[23]، يقول: الفلق والفرق الصبح ، لأن الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول، يقال في المثل: هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح، ومنه قولهم: سطع الفرقان إذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه االله كالأرض عن النبات والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد، والحَبّ والنوى وغير ذلك، وقيل هو واد في جهنم أو جبّ فيها من قولهم لما اطمأن من الأرض الفلق والجمع فلقان[24].

كما يعرض للمعنى المجازي للكلمة، يقول في معنى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[25]

يقول: هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له : قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك، ولأنه من قبيل شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة: (ولما سكن عن موسى الغضب) لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة، وقرئ (ولما سكت وأسكت) أي أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله، والمعنى : ولما طفئ غضبه[26]

هي إذا المعنى اللغوي التي يأخذها اللفظ الواقع في سياق الآية، لكن الزمخشري لا يتعامل معه دائما وفق المنهج اللغوي الذي يرتضي ذلك، وإنما مقام حال السياق مع الخلفية المعرفية التي يدخل بها الزمخشري إلى أعماق اللفظ القرآني تارة محترما مقتضيات السياق وتارة أخرى مجاوزا لحد حرمة اللفظ القرآني إلى منهج يسير مع طبيعة الاتجاه الاعتزالي ليس إلا.

## 4. البعد البلاغي في الكشاف:

الثابت الذي لاشك فيه أنّ غالبية المعتزلة قد تناولوا بالتفصيل الممل قضية الإعجاز الواقع في الخطاب القرآني، الشيء الذي جعل من المصنفات البديعية تزهر بالكثير من القضايا البلاغية المتعلقة بعالم الأساليب، وهو تأكيد مباشر على أنّ الزمخشري لم يكن الوحيد ممن اهتموا بالدرس البلاغي في كشافه، ولكن سبقه الكثير من كبار المعتزلة من مثل: الجاحظ والرماني والقاضي عبد الجبار والحاكم وغيرهم كثر مما هو مدون في كتاب البلاغة[27]

ولعل الدليل على أسبقية كثير من المنظرين للدرس البلاغي ، ما نلمسه من شخص الزمخشري في حد ذاته من تأثر بالغ لما جاء به عبد القاهر الجرجاني وهو ما نلحظه بشكل مباشر وواضح في كتابيه: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة[28]؛ الأمر الذي جعل من الزمخري أن يضع بعضا من الأصول المعرفية والمنهجية المتعلقة بالدرس البلاغي العربي الأصيل، سواء تعلق الأمر بتحديد مفهوم المجاز والكناية والاستعارة، أم ما تعلق الأمر بعلم المعاني كالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والتعريف والتنكير وهلم جرا[29] مما احتواه الخطاب القرآني من مفاهيم بلاغية اقتض من الزمخشري أن يتعامل معها بمنهج خاص، ولكي نكون على بينة من أمرنا في هذا الشأن لا ضير من أن نتوقف عند بعض من النماذج البلاغية في الكشاف.

يشير الزمخشري إلى أنّ أسلوب الاستفهام لا يمكن أن يظل محافظا على جهته، وإنما قد يخرج على معنى الاستفهام ليدل على دلالات أخرى تكون تبعا لما تقتضيه طبيعة السياقات والمقامات ، يقول في قوله تعالى :﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[30] ، ما بيانه إن الاستفهام الوارد في الآية هو على طريق الإنكار والتعجب، وعليه يكون

معنى الآية من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أنّ آيات الله تعالى وهي القرآن المعجز يُتلى عليكم على لسان النبي عليه السلام غضّة طريق وبين أظهركم رسول الله"[31] تماما ما وجدنا القاضي عبد الجبار في السياق نفسه يشير إلى معنى الاستفهام الوارد في الآية قائلا: "إنّ الاستفهام للتوبيخ والذم، وبين التعجب والإنكار قرابة، والمهم أنّ الاستفهام خرج عن حقيقته إلى معنى صحّ به الكلام"[32].

وفي مقام صيغة الأمر الذي يخرج عن معنى الطلب القائم على نية الوجوب نجد الزمخشري يتخذ لنفسه منهجا يعتمد أساسا على وظيفة ما يقوم به السياق بقرائنه اللفظية والمعنوية ، فهو يرى مثلا أن قوله تعالى :﴿ هَاأَنتُمْ أُولاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[33] لم يرد على نية المر القائم على الوجوب بل إن الصيغة جاءت على سبيل الدعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يصلوا إلى الهلاك والدمار، ثم إنّ مثل هذه الزيادة هي قائمة على المسكوت عنه وهو غيظهم من قوة انتشار الدين الحنيف وكذا عزّ أهله، وما لهم في ذلك من الذل والهوان والخزي والتبار[34]،وهو ما قد بينه القاضي قبله في كتابه المطاعن معلنا بانّ صيغة الأمر خرجت عن دلالتها الأصلية لتحل محل الدعاء والهلاك عليهم ليس إلا[35].

وينتقل الزمخشري في حق المحذوف وما يؤديه من دلالات جمة تتوقف عند محدودية السياق ، فهو يرى بأنّ المحذوف الواقع في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[36]والمتمثل في جواب لو شأنه شأن كما نقول–على حد الزمخشري– لغلامك : لو أنيّ قمت لك، وتترك الجواب، والمعنى: لو أنّ قرآنا سيّرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا، أو كلّم به الموتى فتسمع، وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف[37].

ويهتم أيضا بالتحليل البلاغي ودلالة اللفظ في سياق الآية وصلته بما قبله وما بعده، فنجده عند الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[38]

يقول: فإن قلت الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل؟ قلت : أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أُسري به بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة (من الليل) أي بعض الليل[39].

ونجده عند قوله تعالى :لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[40] يتساءل لِمَ خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ ويجيب أن في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجدّ فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال[41].

ومهما يكن من أمر فإننا نلفي الزمخشري في عرضه للصور البلاغية من خلال كشافه يحاول بكل ما يملك من مادة معرفية أن يتعامل مع الخطاب القرآني وفق منهجية تختلف جملة وتفصيلا عن المنهجية الذين سبقوه محاولا تبيان أهم الأبعاد البلاغية التي امتاز بها القرآن والتي استطاعت بالقدر الكافي أن تعجز العرب ومن هم في الفصاحة والبيان.

## 5. الخاتمة:

إنّ ما يمكن قوله في شأن الاختلاف اللغوي الذي كان يقتفي أثره الزمخشري بأنه كان منهجا يتوسط بين مبدأ الالتزام ومبدأ الاختلاف ، ففي المبدأ الأول تجد الزمخشري لا يخرج عما هو متفق عليه في الظاهر اللغوية لدى أهل الاختصاص من النحاة والبلاغيين واللغويين، وفي المبدأ الثاني تجده يحاول أن يجاوز حد المنهج ليصنع نفسه منهجا خاصا بما يؤمن به من مبادئ اعتزالية رآها في كثير من السياقات القرآنية لا تتماشى والمعتقد الاعتزالي ، فهم من ثمة ملزم عليه أن يجدد لنفسه منهجا لغويا يضيف فيه وينقص منه كما اقتضت الضرورة إلى ذلك سبيلا.

**الهوامش:**

[1] من سورة النساء، الآية: 164.

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الحلبي، القاهرة، 1948م/582.

[3] من سورة إبراهيم,، الآية: 47.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، المصدر السابق 384/2.

[5] من سورة النساء، الآية: 01.

[6] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 158/3-159.

[7] من سورة الفاتحة،الاية 4.

[8] من سورة غافر، الاية 16.

[9] الذهبي ، التفسير والمفسرون، ص.304 ج 1

[10] الذهبي، التفسير والمفسرون، ص.442 ج 1

[11] إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص.578

[12] من سورة البقرة، الآية:05.

[13] الزمخشري، الكشاف، المصدر السابق 1ج/149.

[14] من سورة الفاتحة، الآية:02.

[15] المصدر نفسه، 46/1-47.

[16] المصدر نفسه.57/1.، والبيت الشعري لشهل بن شيبان بن ربيعة.

[17] من سورة الحشر الآية 21.

[18] المصدر نفسه، 87/4.

[19] من سورة القيامة، الآية: (22-23).

[20] المصدر نفسه ، 192/4.

[21] من سورة الضحى الآية 2.

[22] الزمخشري :المصدر السابق ،ج4،ص263.

[23] من سورة الفلق ،الآية 1.

[24] الزمخشري :المصدر السابق ،ج4،ص300.

[25] من سورة الآعراف،الاية 154.

[26] الزمخشري :المصدر السابق ،ج2،ص120.

[27] ينظر في هذا السياق إلى : شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ص:15-34.

[28] ينظر: عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، ص363 وما بعدها.

[29] ينظر: القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل، حقق باشتراك طه حسين وإبراهيم مذكور، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر، 1961-1965، 199/16 وما بعدها.

[30] من سورة آل عمران، الآية: 101.

[31] الكشاف، المصدر السابق، 206/1.

[32] القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، د.ت، ص:77.

[33] من سورة آل عمران، الآية: 119.

[34] ينظر: الكشاف، المصدر السابق، 459/1.

[35] القاضي عبد الجبار، تنزيه المطاعن، ص:77.

[36] من سورة الرعد، الآية: 31.

[37] ينظر: الكشاف، المصدر السابق، 360/2-361.

[38] من سورة الاسراء ،الآية1.

[39] الزمخشري :المصدر السابق ،ج2،ص436.

[40] من سورة البقرة، الآية 286.

[41] الزمخشري :المصدر السابق ،ج2،ص408.

**المصادر والمراجع:**

-القرآن الكريم.برواية حفص.

-الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الحلبي، القاهرة، 1948م.

- أبو حيان الأندلسي:

البحر المحيط، تحقيق: زكريا عبد المجيد النوبي وأحمد النجل الجمل،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

-شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ.

-عبد العزيز عتيق:

في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان.

-القاضي عبد الجبار :

المغني في أبواب التوحيد والعدل، حقق باشتراك طه حسين وإبراهيم مذكور، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر، 1961-1965.

-تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، د.ت.